لنفسه، فإنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وهو العليم الحكيم، الخبير الرحيم.

٢- علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن، خير من اختياره لنفسه، كما روىٰ مسلم في صحيحه، وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء، إلا كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»(١).

فأخبر النبي ﷺ أن كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذي يصبر علىٰ البلاء ويشكر علىٰ السراء فهو خير له(٢).

وأما الرضا به وبدينه وبرسوله، فذلك من حظ المحبة، ولهذا ذكر النبي ﷺ: طعم الإيمان، كما ذكر في المحبة وجود حلاوة الإيمان. وهذان الحديثان الصحيحان هما في ما يذكر من الوجد والذوق الإيماني الشرعي دون الضلالي البدعي(٣).

(١) مسلم برقم (٢٩٩٩). وأحمد (٥ / ٢٤).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢١، ٢٧، ٣٠).
(٣) الفتاوى (١٠ / ٣٢).

أي: حديث العباس رضي الله عنه: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا ...**» الحديث.

وحديث: .... قال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ..**» [رواه البخاري ومسلم].

وحديث العباس فيه: إثبات إلاهية الرب تعالىٰ. وفيه إثبات نبوة النبي ﷺ، وفيه إثبات الرضىٰ بدين الإسلام وضرورة الإيمان به.

وفيه: أن العبد لا يتخذ ربًا غير الله يسكن إليه تدبيره، وينزل به حوائجه، لأن الرضا به أصل الرضىٰ عنه، والرضىٰ عنه ثمرة الرضىٰ به.

قال أبو عثمان سعيد الحيري: الرضا، قبل القضاء، عز علىٰ الرضا، والرضا بعد القضاء هو: الرضا.

وقال أحمد بن عيسىٰ البغدادي: الرضا بعد القضاء تسليم[١].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -: وأما حديث «الرضا بالقضاء» فيقال:

أولا: بأي كتاب أو بأي سنة، أم بأي معقول: علمتم

(١) انظر الحلية لأبي نعيم (١٠ / ٢٤٦) وتاريخ بغداد (٤ / ٢٧٦).

وجوب الرضا بكل ما يقضيه ويقدره؟ بل بجواز ذلك، فضلاً عن وجوبه؟

هذا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأدلة العقول ليس في شيء منها الأمر بذلك، ولا إباحته.

بل من المقضي ما يرضىٰ به، ومنه ما يسخطه ويمقته، فلا نرضىٰ بكل قضاء. كما لا يرضىٰ به القاضي لا قضيته سبحانه بل من القضاء ما يسخطه، كما أن من الأعيان المقضية: ما يغضب عليه، ويمقت عليه، ويلعن ويذم.

ثانيًا: ها هنا أمران: (قضاء) وهو فعل قائم بذات الرب تعالىٰ (ومقضي) وهو المفعول المنفصل عنه. فالقضاء خير كله. وعدل وحكمة، فيرضىٰ به كله.

والمقضي قسمان: منه ما يرضىٰ به، ومنه ما لا يرضىٰ به.

وهذا جواب من يقول: الفعل غير المفعول، والقضاء غير المقضي.

وأما من يقول: أن الفعل هو عين المفعول والقضاء هو عين المقضي، فلا يمكنه أن يجيب بهذا الجواب.

ثالثًا: القضاء له وجهان:

أحدهما: تعلقه بالرب تعالىٰ، ونسبته إليه. فمن هذا الوجه يرضىٰ به كله.

الوجه الثاني: تعلقه بالعبد ونسبته إليه فمن هذا الوجه: ينقسم إلىٰ ما يرضىٰ به، وإلىٰ ما لا يرضىٰ به.

مثال ذلك: قتل النفس - مثلاً - له اعتباران: فمن حيث إنه قدره الله وقضاءه وكتبه وشاءه، وجعله أجلاً للمقتول، ونهاية لعمره: يرضىٰ به.

ومن حيث أنه صدر من القاتل: وباشره وكسبه، وأقدم عليه باختياره، وعصىٰ الله بفعله: يسخطه ولا يرضىٰ به[١].

وقد كان النبي ﷺ يدعو ويقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك** ..» [رواه مسلم] فتأمل ذكر استعاذته ﷺ بصفة الرضا من صفة (السخط)، وبفعل (المعافاة)، من فعل (العقوبة)، فالأول، للصفة. والثاني: لأثرها المترتب عليها. ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه وحده. لا إلىٰ غيره فما أعوذ منه: واقع بمشيئتك وإرادتك. وما أعوض به: من رضاك ومعافاتك، هو بمشيئتك وإرادتك، إن شئت أن ترضىٰ عن عبدك وتعافيه، وإن شئت أن تغضب عليه وتعاقبه. فإعاذتي مما أكره وأحذر، ومنعه أن يحل بي: هو

(١) مدارج السالكين (١ / ٢٥٦).

بمشيئتك أيضًا. فالمحبوب والمكروه كله بقضائك ومشيئتك. فعياذي بك منك. عياذي بحولك وقوتك، وقدرتك ورحمتك وإحسانك، مما يكون بحولك وقوتك وقدرتك وعدلك ورحمتك.

ولا يعلم ما في هذه الكلمات من التوحيد والمعارف والعبودية إلا الراسخون في العلم بالله ومعرفته، ومعرفة عبوديته(١).

فيجب علينا أن نتبع الكتاب والسنة، ونتبع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، إن أردنا الإيمان، والرضوان، والجنان، عند ربنا الرحمن فعلينا بذلك كما قال ربنا عز وجل: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٠].

فهؤلاء هم السعداء الذين ثبت لهم رضي الله عنهم، ورضوا عنه، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، ولا يختص ذلك بالقرن الذي رأوهم فقط، وإنما خص التابعون بمن رأوا الصحابة تخصيصاً

(١) مدارج السالكين (١ / ٢٥٤ - ٢٥٥).

عرفيًا ليتميزوا به عمن بعدهم. فقيل: التابعون مطلقًا لذلك القرن فقط، وإلا فكل من سلك سبيلهم فهو من التابعين لهم بإحسان، وهو ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه ورضي عن الله.

وقيد سبحانه هذه التبعية بأنها تبعية بإحسان، ليست مطلقة فتحصل بمجرد النية والإتباع في شيء والمخالفة في غيره، ولكن تبعية مصاحبة للإحسان فإن الباء ها هنا للمصاحبة والإحسان في المتابعة شرط في حصول رضىٰ الله عنهم وجناته.

فنقول: الكلام في مقامين:

أحدهما: في الأدلة الدالة علىٰ وجوب اتباع الصحابة.

الثاني: في الجواب عن شبه النفاة[1].

والرضىٰ عن الله إنما يتحقق بأمور. إن تستوي النعمة والبلية عنده في الرضىٰ لوجوه:

١- إنه مفوض - وهو راض ما اختاره له مفوضة.

٢- إنه جازم أنه لا تبديل لكلمات الله، ولا راد لحكمه.. وإن كل بلية ونعمة بقضاء سابق وقدر حتم.

---

(١) الرسالة التبوكية، صـ ٤٤، وإعلام المعوقين (٤ / ١٢٣).

٣- إنه عبد محض. لا يسخط أحكام سيده البار المحسن، ويتلقاه كلها بالرضىٰ به وعنه.

٤- إنه محب. راضي بما يعامله به حبيبه.

٥- إنه جاهل بعواقب الأمور. وسيده أعلم بمصلحته.

٦- إنه لا يريد مصلحة نفسه من كل وجه. وربه تعالىٰ يريد مصلحته.

٧- إنه مسلم. والمسلم من قد سلم نفسه لله.

٨- أنه عارف بربه حسن الظن به. لا يتهمه في أقضيته وأقداره.

٩- إنه يعلم أن حظه من المقدور ما يتلقاه به من رضىٰ وسخط. فإن رضي فله الرضىٰ وإن سخط فله السخط.

١٠- علمه أنه إذا رضي انقلب في حقه نعمة ومنحة.

١١- أن يعلم أن تمام عبوديته في جريان ما يكرهه.

١٢- أن يعلم أن رضاه عن ربه سبحانه وتعالىٰ في جميع الحالات يثمر رضىٰ ربه عنه.

١٣- أن يعلم أن أعظم راحته وسروره ونعيمه، في الرضا عن ربه .. فإن الرضا باب الله الأعظم.

١٤- أن السخط باب الهم والغم والحزن وشتات القلب وسؤ القلب وسؤ الظن والرضىٰ يخلصه من ذلك كله.

obeikandl.com

١٥- أن الرضىٰ يوجب له الطمأنينة.

١٦- أن الرضىٰ ينزل عليه السكينة.

١٧- أن الرضىٰ يفتح له باب السلامة.

١٨- أن السخط يوجب تلون العبد، وعدم ثباته مع الله.

١٩- أن السخط يفتح عليه باب الشك في الله وقضائه وقدره وحكمه وعلمه.

٢٠- أن الرضىٰ بالمقدور من سعادة ابن آدم - وسخطه من شقاوته.

٢١- أن الرضىٰ يوجب له أن لا يأس على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه. وذلك من فضل الإيمان.

٢٢- أن ملأ قلبه من الرضىٰ بالقدر، ملأ الله صدره غنىٰ وأمنًا وقناعة.

٢٣- أن الرضىٰ يثمر الشكر. الذي هو من أعلىٰ مقامات الإيمان.

٢٤- أن الرضىٰ ينفي عنه آفات الحرص والكلب على الدنيا.

٢٥- أن الشيطان إنما يظفر بالإنسان غالبًا عند السخط فعلينا أن لا نقول إلا ما يُرضي ربنا.

٢٦- أن الرضىٰ هو اختيار ما اختاره الله لعبده، والسخط هو كراهة ما اختاره الله له.

obeikandl.com

٢٧- أن الرضىٰ يخرج الهوىٰ من القلب.

٢٨- أن الرضىٰ عن الله في جميع الحالات يثمر للعبد رضىٰ الله به.

٢٩- أن الرضىٰ بالقضاء أشق شيء علىٰ النفس.

٣٠- أن الراضي متلق أوامره - الدينية والقدرية - بالانشراح والتسليم.

٣١- أن المخالفات كلها أصلها من عدم الرضىٰ. والطاعات كلها من الرضىٰ.

٣٢- أن عدم الرضىٰ يفتح باب البدعة.

٣٣- أن الرضىٰ معقد نظام الدين ظاهرًا وباطنًا.

٣٤- أن الرضىٰ يخلص العبد من مخاصمة الرب عز وجل في أحكامه وأقضيته.

٣٥- أن جميع ما في الكون أوجبته مشيئة الله، وحكمته، وملكه، فهو موجب أسمائه وصفاته، فمن لم يرضىٰ بما رضي به ربه، لم يرضىٰ بأسمائه وصفاته فلم يرضىٰ به ربًا.

٣٦- أن كل ما قد يكرهه العبد ولا يلائمه، لا يخلو: إما أن يكون عقوبة علىٰ الذنب. فهو دواء المرض، لولا تدارك الحكيم إياه بالدواء لترامي به المرض إلىٰ الهلاك.

٣٧- أن حكم الرب تعالىٰ ماضي في عبده، وقضاؤه عدل فيه.

٣٨- أن عدم الرضا إما أن يكون لفوات ما أخطأه مما يحبه ويريده، وإما الإصابة ما يكرهه ويسخطه.

٣٩- أن الرضىٰ من أعمال القلوب. نظير الجهاد من أعمال الجوارح.

٤٠- أن أول معصية عصىٰ الله بها في هذا العالم. إنما نشأت من عدم الرضىٰ.

٤١- أن الرضىٰ واقف مع اختيار الله له، معرض عن اختياره لنفسه.

٤٢- أن يعلم أن منع الله سبحانه وتعالىٰ لعبده المؤمن المحب عطاء، وابتلاءه إياه عافية.

٤٣- أن يعلم أنه سبحانه هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والمظهر لكل شيء والمالك لكل شيء، فهو سبحانه الذي اختار وجوده، واختار أن يكون كما قدره له وقضاه.

٤٤- أن رضىٰ الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها.

٤٥- أن العبد إذا رضي به وعنه في جميع الحالات، لم يتخير عليه المسائل، وأغناه رضاه بما يقسمه له ويقدره.

٤٦- أن النبي ﷺ كان يندب إلىٰ أعلىٰ المقامات «**أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك**».

٤٧- أنه ﷺ أثنىٰ علىٰ الراضين بمر القضاء بالحكم والعلم والفقه، والقرب من درجة النبوة.

٤٨- أن الرضا آخذ بزمام مقامات الدين كله، وهو روحها وحياتها.

٤٩- أن الرضىٰ يقوم مقام كثير من التعبدات التي تشق علىٰ البدن. فيكون رضاه أسهل عليه وألذ له وأرفع في درجته.

٥٠- أن الرضىٰ يفتح باب حُسن الخلق مع الله تعالىٰ ومع الناس.

٥١- أن الرضىٰ يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور وطيب النفس وسكونها في كل حال.

٥٢- أن أفضل الأحوال: الرغبة في الله ولوازمها وذلك لا يتم إلا باليقين والرضىٰ عن الله.

٥٣- أن الرضىٰ يخلصه من عيب ما لم يعيبه الله.

٥٤- أن النبي ﷺ سأل الله الرضىٰ بالقضاء. كما في المسند والسنن «وأسألك الرضىٰ بعد القضاء».

٥٥- أن الرضىٰ بالقدر يخلص العبد من أن يرضي الناس بسخط الله.

٥٦- أن الرضىٰ يفرغ قلب العبد ويقلل همه وغمه. فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها.

٥٧- أنه إذا لم يرضىٰ بالقدر وقع في لوم المقادير.

٥٨- أنه إذا استوىٰ الأمر بالنسبة إلىٰ رضىٰ الرب تعالىٰ. فهذا رضية لعبده فقدره.

٥٩- أن الله تعالىٰ نهىٰ عن التقدم بين يديه ويدي رسوله في حكمه الديني الشرعي، وذلك عبودية هذا الأمر.

٦٠- أن المحبة والإخلاص والإنابة لا تقوم إلا علىٰ ساق الرضىٰ.

٦١- أنا أعمال الجوارح تضاعف إلىٰ حد معلوم محسوب، وأما أعمال القلوب، فلا ينتهي تضعيفها انتهىٰ مختصراً[١].

والمؤمن الحق الذي يرضىٰ بقضاء الله وقدره، له نعيم مقيم في الجنة، وأكبر من ذلك رضوان من الله أكبر، فهو أكبر نعيم كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ٧٢].

فرضىٰ الله أكبر من الجنة لأن الرضىٰ صفة الله عز وجل، والجنة خلقه.

وهذا الرضىٰ جزاء علىٰ رضاهم عنه في الدنيا، ولما كان هذا الجزاء، أفضل الجزاء، كان سببه أفضل الأعمال.

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٢٠٥-٢٢٨).

وجاء بالرضوان مبتدأ مبكرًا، مخبرًا عنه بأنه أكبر من كل ما وُعِدوا به فأيسر شيء من رضوانه أكبر الجنات وما فيها من المساكن الطيبة وما حوته، ولهذا لما يتجلىٰ سبحانه وتعالىٰ لأوليائه في جنات عدن ويمنيهم أي شيء يريدون، فيقولون: نريد أفضل مما أعطيتنا؟ فيقول الله تبارك وتعالىٰ: إن لكم عندي أفضل من ذلك: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا[١]. [رواه الشيخان].

قال ﷺ: «**وأسألك برد العيش بعد الموت**».

البرد: ضد الحر والبرودة: نقيض الحرارة، برد الشيء يبرد برودة.

وبردته العيش: هنيئته. وعيش بارد هنيئ طيب.

ومثله قولهم: نسألك الجنة وبردها: أي طيبها ونعيمها[٢].

العيش: الحياة، عاش يعيش عيشًا ومعايشًا.

والموت: السكون. والانتقال، من دار الدنيا إلى الآخرة.

«**وأسألك برد العيش**» أي: طيبه وحسنه، وخيره

(١) مدارج السالكين (٢ / ٢١٧) وبدائع الفوائد (٢ / ١٦٦).
(٢) اللسان (٣ / ٨٣-٨٤).

ونعيمه، (بعد الموت)، لأنه لا عيش إلا عيش الآخرة.

قال تعالىٰ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] أي: جامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضوها، ولم يختاروا عليها غيرها. (هنيئًا) أي: تامًا كاملاً، من غير مكدر ولا منغص(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة:٧]، قالوا، بمعنىٰ مرضية، وراضية أصلها مرضية كما في قوله تعالىٰ: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٩] وإسناد الرضىٰ للعيشة علىٰ أنها هي فاعلة الرضىٰ، لأن كلمة العيشة، جامعة لنعيم الجنة، وأسباب النعيم، راضية طائعة لينة لأصحاب الجنة، فتفجر لهم الأنهار طواعية، وتدنوا الثمار طواعية، كما في قوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]. والمحل الحقيقي هو: الجنة والعيشة حالة فيها. وهي اسم لمعاني النعيم. وقد جاءت الأحاديث.

له إن الجنة تحس بأهلها وتفرح بعمل الخير، كما أنها تتزين وتبتهج في رمضان، وأنها تناظرت مع النار(٢). وكل

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٨٨٣.

(٢) انظر مسلم (٣٤-٣٦) في وصف الجنة. والترمذي برقم (٢٥٦١) وحم (٢ / ٢٧٦).

يدلي بأهله وفرحه بهم، حتىٰ وعد الله كلاً بملئها. ونصوص تلقي الحور، والولدان والملائكة في الجنة لأهل الجنة بالرضىٰ والتحية معلومة وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧] أي لا يتأخر عنهم شيء وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: من الآية ٧٣]. وقوله: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦].

وقاصرات الطرف عن رضىٰ بأهلهن. ومنه ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] أي: أزواجهن.

وقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان: ١٤]. ونحو ذلك، مما ليشعر بأن نعيم الجنة بنفسه راض بأهل الجنة[١].

قال ابن القيم - رحمه الله -: ولما كان العيش في هذه الدار لا يبرد لأحد كائناً من كان، بل هو محشو بالغصص، والنكد، ومحفوف بالآلام الباطنة والظاهرة، سأل برد العيش بعد الموت[٢].

---

(١) أضواء البيان (٩ / ٢٥٤-٢٥٥) ط دار الكتب.
(٢) إغاثة اللهفان (١ / ٢٩).

فالعيش في مساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.

والنساء، أبكارًا عربًا أترابًا كأنهن الياقوت والمرجان. وهن حور مقصورات في الخيام. والشراب الطيب من أنهار من خمر لذة للشاربين، ومن أنهار اللبن الذي لم يتغير طعمه، وأنهار من عسل مصفىٰ، والأنهار من الماء الغير آسف وفيها من كل الثمار. ولذة النظر إلىٰ وجه العزيز الرحيم. وسماع خطاب الرحمن. والجلوس علىٰ منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد.

ونداء المنادي يا أهل الجنة: إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تطعنوا، وتشبوا فلا تهرموا أبداً.

فهم في روضات الجنات يتقلبون، وعلىٰ أسرتها تحت الحجاب - والستور يجلسون وعلىٰ الفرش يتكئون، وبالحور العين يتمتعون. وبأنواع الثمار يتفكهون ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً**

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ١٧-٢٤]. ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [الزخرف: ٧١].

تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد فما قلب ولا استام إلا أفراد من العباد، فواعجبًا لها كيف نام طالبها، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الديار بعد سماع أخبارها؟ وكيف صرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العاملين؟ وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟[1].

قوله ﷺ: «**وأسألك لذة النظر إلىٰ وجهك**».

فيه إثبات الرؤية، وأن للنظر لذة عظيمة، وفيه إثبات الوجه لله عز وجل.

اللذة: نقيض الألم، واحدة اللذات، لذة، ولذ به، يلذ لذا[2].

والنظر: حس العين، نظره ينظره نظرًا. وتقول نظرت

---

(١) انظر حادي الأرواح لابن القيم - رحمه الله - ففيه فوائد ومنافع عظيمة جدًا.

(٢) اللسان (٣ / ٥٠٦).

إلىٰ كذا وكذا، من نظر العين، والقلب .. والنظر تأمل الشيء بالعين[١].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ: من يلتذ في الدنيا بكل ما يقصد به وجه الله سبحانه وتعالىٰ من الأكل والشرب واللباس والنكاح وشفاء والغيظ بقهر العدو وجهاد في سبيله، فضلاً عما يلتذ به من معرفة ربه وحبه له وتوحيده، والإنابة إليه والتوكل عليه والإقبال عليه وإخلاص العمل له والرضا به وعنه، والتفويض إليه وفرح القلب وسروره بقربه والأنس به والشوق إلىٰ لقائه كما في الحديث الذي صححه ابن حبان والحاكم:

«**وأسألك لذة النظر إلىٰ وجهك والشوق إلىٰ لقائك**».

وهذه اللذة لا تزال في الدنيا في زيادة مع تنقيصها بالعدو الباطن من الشيطان والهوىٰ والنفس والدنيا والعدو الظاهر، فكيف إذا تجردت الروح وفارقت دار الأحزان والآفات واتصلت بالرفيق الأعلىٰ: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٩-٧٠]. فإذا أفضىٰ إلى دار النعيم فهناك من

(١) اللسان (٥ / ٢١٥).

أنواع اللذة والبهجة والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، فبؤسًا وتعسًا للنفوس الوضيعة الدنيئة التي لا يهزها الشوق إلىٰ ذلك طربًا، ولا تتقد نار إرادتها رغبًا، ولا تبعد عما يصد عن ذلك رهبًا، فبصائرها كما قيل:

خفافيش أغشها النهار بضوئه
ولاءمها قطع من الليل مظلم

تجول حول الحُش، إذا جالت النفوس العلوية حول العرش، وتندس في الأحجار إذا طارت النفوس الزكية إلىٰ أعلىٰ الأوكار.

فلم تر أمثال الرجال تفاوتوا
إلىٰ الفضل حتىٰ عد ألف بواحد(١)

أعظم وأصرح آية دلت علىٰ أن النظر إلىٰ وجه الله عز وجل هو الرؤية قوله تعالىٰ: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وهذا هو المنقول عن السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، وما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

---

(١) روضة المحبين، صـ ١٣٨ - ١٣٩.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلىٰ وجه ربها. قال الشوكاني – رحمه الله –: أخرجه ابن مردويه وكذا أخرج البيهقي عن ابن عباس: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: نظرت إلىٰ الخالق. وأخرجه ابن المنذر والآجري في الشريعة، واللالكائي في السنة[١].

وعن الحسن البصري – رحمه الله – قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلىٰ الخالق، وحق لها أن تتضرع وهي تنظر إلىٰ الخالق[٢].

وعن عكرمة – رحمه الله – قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلىٰ ربها نظراً[٣].

وعن الإمام مالك – رحمه الله – أنه سئل عن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ اتنظر إلىٰ الله عز وجل؟ قال: نعم. فقيل له أن قوماً يقولون: تنظر ما عنده؟ قال: بل تنظر إليه نظراً[٤]، وقد اجتمع في هذه الآية قرينتان دالتان علىٰ أن المراد بالنظر في هذه الآية الرؤية.

---

(١) فتح القدير ( ).
(٢) الطبري (٢٤ / ٧٢).
(٣) نفس المصدر (٢٤ / ٧٢).
(٤) أصول اعتقاد وأهل السنة للالكائي (٣ / ٦٠١).

وأعلم أن شرف الشيء إما لذاته أو لغيره، والعلم حائز الشرفين جميعًا لأنه لذيذ في نفسه فيطلب لذته، ولذيذ لغيره، فيطلب لأجله.

أما الأول: فلا يخفىٰ علىٰ أهله أنه لا لذة فوقها لأنها لذة روحانية وهي اللذة المحضة، وأما اللذة الجسمانية فهي دفع الألم في الحقيقة، كما أن لذة الأكل دفع ألم الجوع، ولذة الجماع دفع ألم الإمتلاء، بخلاف اللذة الروحانية فإنها ألذ وأشهىٰ من اللذائذ الجسمانية، ولهذا كان الإمام الثاني محمد بن الحسن الشيباني يقول عندما انحلت له مشكلات العلوم: أين أبناء الملوك من هذه اللذة.

ومن لذته التابعة لعزته أنه لا يقبل العزل والنصب مع دوامة لا مزاحمة فيه لأحد، لأن المعلومات متسمة مزيدة بكثرة الشركاء.

ومع هذا لا ترىٰ أحدًا من الولاة الجهال إلا يتمنون أن يكون عزهم كعز أهل العلم، إلا أن الموانع البهيمية تمنع عن نيله.

وأما اللذائذ الحاصلة لغيره: أما في الأخرىٰ فلكونه وسيلة إلىٰ أعظم اللذائذ الأخروية والسعادة الأبدية، ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل، ولا يتوصل إلىٰ العمل أيضًا

إلا بالعلم بكيفية العمل. فأصل سعادة الدارين هو العلم فهو إذا أفضل الأعمال. وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع فإنك ترى أغبياء الترك وأجلاف العرب وأراذل العجم يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم.

التعليم الثاني: في نفعه:

أعلم أن السعادة منحصرة في قسمين جلب المنافع ودفع المضار وكل منهما دنيوي وديني فالأقسام أربعة:

١- ما ينجلب بالعلم من المنافع الدينية: وهو خفي وخلقي، أشار إلى نفعه الأول قول الرسول ﷺ في الحديث: فإن تعلمه لله خشيته.

٢- ما ينجلب بالعلم من المنافع الدنيوية، وهو وجداني وذوقي.

٣- ما يجلبه العلم من الوجاهة والرتبة، وهي إما عند الله سبحانه وتعالى، وإما عند الملأ الأعلى وإما عند الملأ الأسفل.

٤- ما يندفع بالعلم من المضار الدنيوية مثل:

أ- جلب المصالح والمقاصد ودفع المعائب والمفاسد.

ب- مضرة اجتلاب المفاسد برفض القانون الشرعي العاصم من كل ضلال.

obeikandl.com

فتأمل في بيان منافع العلم وكيفية جوامع الكلم، وأكثر الصلاة علىٰ صاحبه عليه الصلاة والسلام[١].

إحداهما: تعديته بحرف (إلىٰ).

الثانية: اقترانه بذكر الوجه .. والنظر لا يكون بالوجه وإنما بما ركب الله فيه من العينين. إن إحدىٰ القرينتين كافية. فكيف إذا اجتمعتا؟!

قال ابن القيم – رحمه الله تعالىٰ –: وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن موضعها، والكذب علىٰ المتكلم – سبحانه – فيما أراده منها، وجدتها منادية نداءً صريحاً، إن الله سبحانه يرىٰ عياناً بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلاً، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل علىٰ أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة .. وإضافة النظر إلىٰ الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديه بأداة (إلىٰ) الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام عن قرينه، تدل علىٰ أن المراد بالنظر المضاف إلىٰ الوجه المعدىٰ بـ (إلىٰ) خلاف

(١) انتهى مختصراً. من أبجد العلوم للعلامة: الصديق حسن – رحمه الله –، صـ ٦٥ – ٦٧.

حقيقته وموضوعه صريح من أن الله سبحانه وتعالىٰ أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلىٰ نفس الرب جل جلاله(١).

وأن أعظم المراتب في الدنيا وفي الآخرة هي مرتبة الإحسان: لأن الإحسان: هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا علىٰ وجه الحضور والمراقب كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلىٰ وجه الله عيانًا في الآخرة(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: من الآية ٢٦]، فالحسنىٰ البنية والزيادة: النظر إلىٰ وجه الله الكريم.

روى الإمام مسلم - رحمه الله -، عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إذا دخل أهل الجنة، قال يقول الله تبارك وتعالىٰ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: من الآية ٢٦](٣).

---

(١) حادي الأرواح، صـ ٢٧٦.
(٢) إيقاظ الهمم من جامع العلوم والحكم، صـ ٧١.
(٣) مسلم برقم (١٨١).

قوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: هي: تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشراً أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، وزيادة علىٰ ذلك، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك، وأعلاه النظر إلىٰ وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله وبرحمته، وقد روىٰ تفسير (الزيادة) بالنظر إلىٰ وجه الله الكريم، عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، وعكرمة، ومجاهد، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف[١]. رضي الله عنهم جميعاً.

أثر أبي بكر الصديق أنه قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلىٰ وجه ربهم[٢].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: النظر إلىٰ وجه ربهم، وقرأ ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: من الآية

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٩٨). (٢) تفسير الطبري (١١/ ١٠٤).